

## تفسير ابن كثير

فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۚ  
وَكَذَّا فَاعِلِينَ

وقوله : ( ففهمناها سليمان وكلنا آتينا حكما وعلما ) قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ،

حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا حماد ، عن حميد؛ أن إياس بن معاوية لما استقضى

أتاه الحسن فبكى ، قال ما يبكيك؟ قال يا أبا سعيد ، بلغني أن القضاة : رجل اجتهد

فأخطأ ، فهو في النار ، ورجل مال به الهوى فهو في النار ، ورجل اجتهد فأصاب فهو

في الجنة . فقال الحسن البصري : إن فيما قص الله من نبأ داود وسليمان - عليهما السلام

- والأنبياء حكما يرد قول هؤلاء الناس عن قولهم ، قال الله تعالى : ( وداود وسليمان إذ

يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ) فأثنى الله على

سليمان ولم يذم داود . ثم قال - يعني : الحسن - : إن الله اتخذ على الحكماء ثلاثا : لا

يشترون به ثمنا قليلا ولا يتبعون فيه الهوى ، ولا يخشون فيه أحدا ، ثم تلا ( يا داود إنا

جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله

[ ( وقال : ( فلا تخشوا الناس واخشون ) [ المائدة : 44 ] ، وقال ( ولا تشتروا بآياتي  
ثمنا قليلا ) [ المائدة : 44 ] .قلت : أما الأنبياء ، عليهم السلام ، فكلهم معصومون مؤيدون  
من الله عز وجل . وهذا مما لا خلاف فيه بين العلماء المحققين من السلف والخلف ،  
وأما من سواهم فقد ثبت في صحيح البخاري ، عن عمرو بن العاص أنه قال : قال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم : " إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ  
فله أجر " فهذا الحديث يرد نصابا ما توهمه " إياس " من أن القاضي إذا اجتهد فأخطأ فهو  
في النار ، والله أعلم .وفي السنن : " القضاة ثلاثة : قاض في الجنة ، وقاضيان في النار :  
رجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة ، ورجل حكم بين الناس على جهل فهو في النار  
، ورجل علم الحق وقضى بخلافه ، فهو في النار .وقريب من هذه القصة المذكورة في  
القرآن ما رواه الإمام أحمد في مسنده ، حيث قال : حدثنا علي بن حفص ، أخبرنا ورقاء  
عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "  
بينما امرأتان معهما ابنان لهما ، جاء الذئب فأخذ أحد الابنين ، فتحاكما إلى داود ،  
فقضى به للكبرى ، فخرجتا . فدعاهما سليمان فقال : هاتوا السكين أشقه بينهما ، فقالت

الصغرى : يرحمك الله هو ابنها ، لا تشقه ، فقضى به للصغرى " .وأخرجه البخاري  
ومسلم في صحيحيهما وبوب عليه النسائي في كتاب القضاء : ( باب الحاكم يوهم خلاف  
الحكم ليستعلم الحق ) .وهكذا القصة التي أوردها الحافظ أبو القاسم ابن عساكر في  
ترجمة " سليمان عليه السلام " من تاريخه ، من طريق الحسن بن سفيان ، عن صفوان بن  
صالح ، عن الوليد بن مسلم ، عن سعيد بن بشر ، عن قتادة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس  
- فذكر قصة مطولة ملخصها - : أن امرأة حسناء في زمان بني إسرائيل ، راودها عن  
نفسها أربعة من رؤسائهم ، فامتنعت على كل منهم ، فاتفقوا فيما بينهم عليها ، فشهدوا  
عليها عند داود ، عليه السلام ، أنها مكنت من نفسها كلبا لها ، قد عودته ذلك منها ،  
فأمر بوجعها . فلما كان عشية ذلك اليوم ، جلس سليمان ، واجتمع معه ولدان مثله ،  
فانتصب حاكما وتزيا أربعة منهم بزي أولئك ، وآخر بزي المرأة ، وشهدوا عليها بأنها  
مكنت من نفسها كلبا ، فقال سليمان : فرقوا بينهم . فقال لأولهم : ما كان لون الكلب؟  
فقال : أسود . فعزله ، واستدعى الآخر فسأله عن لونه ، فقال : أحمر . وقال الآخر : أغبش  
 . وقال الآخر : أبيض . فأمر بقتلهم ، فحكى ذلك لداود ، فاستدعى من فوره بأولئك

الأربعة ، فسألهم متفرقين عن لون ذلك الكلب ، فاختلّفوا عليه ، فأمر بقتلهم . وقوله : ( وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين ) : وذلك لطيب صوته بتلاوة كتابه الزبور ، وكان إذا ترنم به تقف الطير في الهواء ، فتجاوبه ، وترد عليه الجبال تأويبا؛ ولهذا لما مر النبي صلى الله عليه وسلم على أبي موسى الأشعري ، وهويتلو القرآن من الليل ، وكان له صوت طيب [ جدا ] . فوقف واستمع لقراءته ، وقال : " لقد أوتي هذا مزامير آل داود " . قال يا رسول الله ، لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيرا . وقال أبو عثمان النهدي : ما سمعت صوت صنج ولا بربط ولا مزار مثل صوت أبي موسى رضي الله عنه ، ومع هذا قال : لقد أوتي مزارا من مزامير آل داود .